The philosophy of moral and social in the pragmatism of Richard Rorty

Received: 18/05/2023; **Accepted:** 24/01/2024

سدراتي صبرينة[1*]

[1]قسم الفسلفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، (الجزائر) .

فلسفة الأخلاقي والاجتماعي في براغماتية ريتشارد رورتي

ملخص

إن فلسفة التَّغْيير في فكر ريتشارد رورتي البراغماتي إنّما يتنبع من المبدأ النفسي الكلاسيكي الذي ينص على أنّ معيار الأخلاق يكمن في تحقيق أكبر قدر من السعادة، فكل ما هو أخلاقي عند هذا الفيلسوف ينبع من النفس "فأنا وحدي الذي أقرر الخير أو الشر"، ذلك أن التجربة الإنسانية لا يجب أن تختلف عن المضامين الإنسانية العامة، رافضا بذلك المبادئ المتعالية التي أفرزتها الفلسفات الكلاسيكية خاصة الإغريقية منها، داعيا في ذلك إلى أخلاق عملية هدفها تحقيق الحرية الفردية وتحسين الحياة البشرية.

الكلمات المفتاحية:
فسلفة التغيير؛
السعادة؛
الحقيقة؛
العدل؛
المبادئ المتعالية.

Abstract

The philosophy of change in the pragmatic thought of Richard Rorty stems from the classical psychological principle, which states that the criterion of ethics lies in achieving the greatest degree of happiness, everything that is moral for this philosopher stems from the soul "I alone decide good or evil", because the human experience should not differ from the general human contents, rejecting the transcendent principles produced by classical philosophies, especially the Greek ones, calling for practical ethics aimed at Achieving individual freedom and improving human life.

Keywords:
The advance of change;
happiness,
truth;
justice;
transcendent principles.

* Corresponding author, e-mail: sabrinasedrati7@gmail.com

Doi:

© Constantine 1 University, Algeria, 2024.
E-ISSN : 2588-2007 ---Journal homepage : *http://revue.umc.edu.dz/index.php/h*

-مقدمة

كل شيء في هذا الوجود محكوم عليه بالتغير -سواء أردنا أم لم نرد- وقد يكون هذا التغيير سريعا يمكن للأجيال المتعاقبة أن تلحظه وتحس بآثاره، كما قد يكون بطيئا لدرجة لا يحس معها الجيل القادم بأن مجتمعه تغير، فالتغيير هو ضيعة هذا الوجود، فكل شيء ينمو وينبت ويترعرع وكل شيء يضمحل ويذبل، لكن هل يصدق ذلك على المجتمع الإنساني بمبادئه وبفكره وبتياراته الثقافية والحضارية؟

واحدة من أهم الفلسفات التي شهدت هذا التغيير الاجتماعي والثقافي والأخلاقي هي البراغماتية الجديدة، إنه ليس من السهل معالجة الفلسفة الأمريكية اليوم خاصة ونحن نعيش سياستها الحربية العنيفة التي طالب العالم باسره خاصة منها العربية والإسلامية، لقد كان ريتشارد رورتي واحدا من المدافعين عن حقوق الإنسان منددا بسياسة العنف فهو الذي طور الفلسفة البراغماتية لكي تتجاوز الأنا نحو نوع من الأنسنة التي تجمع بين احترام الذات واحترام الآخر، فهي فلسفة إنسانية كونية تحاول الابتعاد عن الميتافيزيقيات والمثاليات.

فإذا كان العصر الكلاسيكي قد أعطى أهمية بالغة للعقل وجعل الحقيقة كامنة، فإن فلسفة ما بعد الحداثة وقد عملت على نقد هذا التصور والتركيز على الواقع، فالواقع وحده كفيل بإثبات الحقيقة الدائمة، من هنا حاولنا السؤال من (من نحن) إلى (ما نحن) لإبراز صلة الفرد بجماعته، فهو شيء لا يكون مختلفا عن هوية الآخر على مستوى الانتماء للإنسانية.

لقد كان الفيلسوف نيتشه "Nitch" حسب رورتي هو أول فيلسوف حاول النقد والتغيير والتهديم، وهو الذي نشر حرية انهيار ركائز الفكر الحديث، من هنا نتساءل: أين تبرز فلسفة التغيير الأخلاقي والاجتماعي في فلسفة ريتشارد رورتي؟ ما هي مختلف الآليات التي اعتمدها من أجل إنجاح مشروعه؟ وهل لقيت هذه التغييرات التي حاول إحداثها في المجتمع الأمريكي صدى أم لا؟

2-ريتشارد روتي ومشروعه الفلسفي

ريتشارد رورتي "Richard Mckay Roty"، فيلسوف أمريكي ولد بنيويورك في الرابع من شهر أكتوبر 1931، اشتغل أستاذا بجامعة ستانفورد الأمريكية قسم الأدب المقارن منذ عام 1999، درس الفلسفة في جامعة شيكاغو ثم في جامعة برنستون طوال عشرين عاما، (اشتهر بقراءته النوعية والمختلفة في الفكر الغربي، يعتب الوحيد الذي اخترف الأعراف الفكرية أو المعايير المتفق عليها والمتصلة في الفلسفة التحليلية بانفتاحه على الفكر القاري والمتصل في الفلسفتين، الفرنسية والألمانية)، كما شهد على ذلك قراءته القيمة لنيتشه وهايدغر، دريدا وفوكو[1].

حاول رورتي نقد التصورات السابقة حول الحقيقة والواقع، ومفاهيم الصدق والخطأ في المعرفة العلمية، فطال نقده هذا الفلسفة في حد ذاتها، لكن هدفه كان تفكيك الفلسفة وليس إلغاء التفكير الفلسفي الذي يربطه بنوع من الممارسة أو الاشتغال على الذات وعلى اللغة، من أشهر كتبه نذكر: "الفلسفة ومرآة الطبيعة، 1979" المترجم إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان "الإنسان المرآوي أو المنعكس"، هذا الكتاب الذي اعتبره الباحثون والمتخصصون في الفكر الأمريكي بمثابة استجابة بالإيقاع.

"الكلمات والأشياء" لميشال فوكو، الذي انصب اهتمامه على متابعة هذه المطابقة النظرية أو قراءة تاريخ الحقيقة عبر المنظومات المعرفية المتعاقبة، لمجاوزة هذا الشكل الميتافيزيقي والتطابقي للفكر الفلسفي، يدعو رورتي إلى ممارسة فكرية "ما بعد فلسفية"، تتلخص من أغلال التأمل والتفكير، كإنعكاس وتطابق تتلخص في الكتابة المتحررة وأسلوب صياغة اللهجة الفكرية بلعبة الألفاظ والمفاهيم.[2]

كذلك كتاب "نتائج البراغماتية، 1982"، كتاب "التضامن، 1989"ن يذكر أن هذين الكتابين كتبا في الفترة الثانية من مسيرة رورتي الفلسفية والتي عرفت باسم مرحلة البناء أو التشييد للبراغماتية الجديدة، وتتضمن هذه المرحلة التركيز على الفلسفة الأخلاقية، الاجتماعية، القانونية، السياسية،، كما يلاحظ كذلك في هذه الفترة عودة روح ديوي إلى فلسفته والاهتمام بالجانب الاجتماعي والإنساني في دور الفلسفة.[3]

3-مشروعه الفلسفي

لم يكم مشروع رورتي الفلسفي مختلفا عن مشروع ديوي الذي سعى فيه إلى التجديد في الفلسفة مركزا على مفاهيم عديدة منها: الخبرة، البحث، التفاعل، الديمقراطية، التربية، الفعل، النتيجة، ... بوصفها أدوات معرفية لتحقيق مشروعه.

إن ما يبرر الفعل الأخلاقي عند ديوي هو العمل والممارسة بإرادة وحرية، من هنا لا يجب الفصل حسب ديوي بين كل من الحرية والأخلاق، لأن ذلك من شأنه أن يجعل الأخلاق والفعل الخلقي يرتد إلى داخل الإنسان ويقوم بسحبها

وفقدها قيمتها العملية، يقول ديوي إننا: "نختار المنافسة التي تتقلد بحرية الإرادة على أنها تمثل نتائج فصل الأخلاق عن الطبيعة الإنسانية، فصل الأخلاق عن الطبيعة البشرية يؤدي إلى سحب الأخلاق إلى الداخل... نسحبها من مكان خارجي عام يغمره مراء النهار وضوء بالي ظلمة الحياة الداخلية وخصوصيتها".[4]

وعليه فما يحدد قيمة الفعل الخلقي هو النتائج والعمل وبهذا لا يخرج جون ديوي عن النظرة العامة للمذهب البراغماتي الذي يغير الفعل خلقيا بقدر ما يحققه من نتائج مفيدة وناجحة عمليا.

من خلال هذه الأفكار لديوي نجد رورتي واحدا من أتباع ديوي، يرغب في الدفاع عن الديمقراطية الاجتماعية التي توجه الفعل نحو الممارسة والعمل.

من هنا فإن مشروع رورتي الفكري والفلسفي يتصل بالدرجة الأولى في محاولة تهديم الفلسفات الكلاسيكية محطما ومهدما التراث الفلسفي الغربي للوعي منذ ديكارت إلى بدايات القرن العشرين، على إبراز عدم جدوى النقاش حول فكرة الأسس وحدود المعرفة، ومعظم ما دار من جدالات بين الفلسفة لا يمكن وصفها إلا بالطابع الهجين الغير مشخص.

وبالتالي فرورتي ومن خلال مشروعه الطموح هذا، أراد بناء فلسفة تنفتح على المستقبل، فلسفة تستقبلها مؤسسات الماضي دون خوف، غير أن مشروعه هذا كان محل استحسان بعض المفكرين واستهجان آخرين، فمنهم من يرى أنه حقق تقدما ونجاحا نسبيين كما هو الشأن بالنسبة لـ"كورنيل ويست Cornel West" (احد الأقلام الأمريكية وفي الفكر الفلسفي خاصة)، ومنهم من يرى أن مشروع رورتي عمل على تقهقر الفلسفة الأمريكية.[5]

إن الفلسفة التي أصبح رورتي يدافع عنها هي فلسفة ما بعد تحليلية تتضمن فكرة النهاية، لكن ليس بمعنى زوال الفعل الفلسفي، ففكرة النهاية تحمل في طياتها انفتاح التفكير على مستجدات الوضع الإنساني والاجتماعي القائم بكل أبعاده، طالما أن البراغماتية الجديدة هي بالدرجة الأولى فلسفة تقدم وتحقق قدر من التوازن الاجتماعي والاقتصادي بين الأفراد في الحقوق والواجبات. يقول رورتي: "إذا كان هناك شيء يميز البراغماتية فهو لا محالة يكمن في استجابة لمعاني الواقع، العقل، الضيقة بمفهوم مستقل أفضل للإنسانية".[6]

4-البراغماتية الجديدة وسؤال الحقيقة

لقد استفاد ريتشارد رورتي من فوكو وكوهين اللذان ركزا على الطابع التاريخي والمحايث للحقيقة، أو الحقيقة بوصفها تاريخ الوقائع والخطابات، لكنه ذهب فيما وراء تاريخية الحقيقة لكي يشكك في إمكانية تأسيس العقل على قاعدة صلبة تتخذ اسم الموضوعية أو الواقعية أو غيرها من الفلسفات التي ميزت تاريخ الأفكار في الغرب.

إمكانية التعبير عن الحقيقة يرجعه روتي إلى مجرد صناعة فكرية أو ممارسة ثقافية، فلا يمكن اعتبار العلم أو الفلسفة أو الفن أو أي شكل معرفي كنمط متعالي يهدف إلى محاكاة الواقع بالتطابق مع واقعه أو وصفه في لغة مفهومية تعكس هذا الواقع ولا يعتريها الشك أو النقص لأنها لغة لا تقول الواقع فحسبن بل تقول أيضا الحقيقة حول ماهية هذا الواقع.[7] لكسر هذا الوهم يعتبر رورتي أن اللغة التي تقرأ الواقع، وتستقرأ أحداثه ليست ثابتة أو متماسكة حتى يمكنها أن تعبر عن حقيقة هذا الواقع مهما بلغة من الدقة أو الموضوعية، فهي لا تعدو مجرد معجم مفهومي يرتبط بمحيطه التاريخي وسياقه الثقافي، ويأخذ رورتي مثالا للفلسفة الإغريقية التي ارتبطت بلغتها وكتصور للإغريق للعالم، فلم تغادر هذه الفلسفة التناهي اللغوي الذي يعبر عنه اللسان الإغريقي المرتبط بعادات وثقافات الفاعلين الاجتماعيين في هذا السياق التاريخي والنطاق الجغرافي، رهان رورتي إذن هو مجاوزة الفلسفة كما حددتها الأصول الإغريقية ليركز اهتمامه على ما بعد الفلسفة، كاهتمامه باللغة التي تنتجها الثقافة المعاصرة، فإذا كانت الفلسفة الإغريقية تتحدث بلغة الماهية واللغوس والوجود، فإن الفكر المعاصر يتحدث اليوم بلغة العلاقة والعمل والأمل والتضامن، يحلل رورتي بإسهاب هذا التصور التطابقي للحقيقة في كتابه الشهير "الفلسفة ومرآة الطبيعة"، يعرض هذا الكتاب المعتقدات الفلسفية التي مكنت الفكر الغربي من تأسيس فكرة عن ذاته وآليات اشتغال عقوله النظرية والعملية، يلخص رورتي هذه المعتقدات أو الثوابت النظرية في:[8]

1.أولوية المعرفة العلمية كمشروع تطابق موضوعي وشامل مع الواقع يؤسس بمقتضاه، معرفة يقينية بالماهية أو الجوهر.

2.اعتبار الفلسفة أم المعارف، أو نظرية في المعرفة منهجها تحديد قيم الحقيقة ومعايير الموضوعية.

3.إعطاء الأولوية والأهمية للملكة الإنسانية الجوانية (الفهم السيكولوجي، الحدس، التأمل، العقل) بوصفها مرآة مفارقة وثانية ينعكس فيها الواقع المادي الحسي المتغير.

فأفلاطون هو ابن عصره كما كتب رورتي مرارا ومعناه أنه يرتبط بحقل رؤيته النظرية وبجمال ممارسته

العملية، فما طرحه في إشكاليات ومسائل هو مجرد نشاط فكري لا ينفك عن أدواته اللغوية والصورية وأطره العملية والسياسية، فليس هناك داع حسب البراغماتي الجديد ان يخلد الفيلسوف هذه الإشكاليات الفلسفية والمسائل الميتافيزيقية، وإنما من واجبه أن يغير الأسئلة ويحول الإشكاليات ويحيا عصره لغة مغايرة وبممارسة فكرية مختلفة، فلم تعد تعنينا الأسئلة الوجودية والمشكلات العملية التي طرحها القدماء لأنها ترتبط بوضعيتهم الحياتية وبلغتهم المشتركة.[9]، آن الأوان لتغيير الأسئلة وتوجيه الاهتمامات والإرادات نحو أفق نظري وعملي يرتبط بوضعية الإنسان المعاصر، وبلغته المفهومة والفنية وبمعجمه الثقافي والسياسي، فالتغيير عن هذا الواقع لا يتم بمنطق المطابقة وإنما يتم بمنطق المجابهة، فلا تغدو اللغة المعبرة عنه مجرد وسيط بين الذات والموضوع وإنما تشكل حقيقة الذات الإنسانية، إنها لغة الخبرة البشرية في وصف الوقائع ومجابهة الأحداث، حيث تصبح كما سلم بذلك جون ديوي وسيلة أو أداة أو آلية تتضمن خبرة ومهارة في اللعب والابتكار، بهذا الوصف يبين رورتي استحالة خروجنا عن أجسادنا ومغادرتنا لتربيتنا[10] نظرا للتناسي الذي يخص وجودنا وللمحايثة التي تميزنا.

4.اعتبار الإنسان ككائن محوره المعرفة كحقل متعالي مثالي، هكذا تمحورت المعرفة الغربية حول قيم الحقيقة كالتطابق والصدق كمعيار منطقي، والخير والجمال كقيمة أكسيولوجية.

هذا التصور الماهوي والتمركزي تتجاوزه فلسفة رورتي نحو ممارسة فكرية جدد بها الفكر البراغماتي معلنا انخراطه في فضاء ما بعد الحداثة.

في كتابه "تاريخ البراغماتية"، يفتح رورتي مجموع هذه المقلات بدراسة ممتازة عنوانها "البراغماتية والفسلفة"، حيث يعرض فيها جملة الفروقات والاختلافات بين التيارات الفكرية "الأفلاطونية ونقيضها الوضعية"، ليتجاوزها ببراغماتية جديدة تعطي الأولوية والصدراة للعلاقات والكلمات كمعاجم تعبر عن تجارب فريدة، وممارسات مفتوحة وتواصلية.[11]

في براغماتية رورتي تصبح الحقيقة "إسمية" أي الاسم الذي يعبر عن مسميات هي مجرد علاقات أو موافقات تتقاسم كلها ما يمكن اعتباره أو إثباته كحقائق، فم يعد التراث الغربي حسب رورتي سوى تعاقدات أو لغات لصيقة بموطنها الجغرافي وسياقها التاريخي تعبر عن تصور للعالم، يشكله الأفراد المتواجدون في هذه البقعة الجغرافية وهذه الفترة التاريخية.

إن رورتي ينكر على الفيلسوف البراغماتي امتلاكه لنظرية في الحقيقة حيث أن موقعه من الحقيقة لا يتأسس على الابستيمولوجيا أو الميتافزيقا بل على الأخلاق فهو –أي الفيلسوف البراغماتي- مناصر ومؤد للتضامن وطريقته في إضفاء الشرعية المطلوبة على قيمة البحث البشري المنجز بشكل تعاوني ومشترك يرتكز على الأخلاق وليس على الابستمولوجيا أو الميتافزيقا[12].

فالأخلاق التي يبني عليها نظريته للحقيقة ولغيرها من المسائل الفلسفية تتأسس على التاريخ والمصادفة لا التصورات الميتافزيقية، وبهذا يعتقد رورتي أن موضوعية الحقيقة تستند إلى موضوعية القواعد، فالحقيقة الموضوعية لا تكون إلا في العلم السوي، لأنه في العلم السوي توج المعايير أو القواعد الموضوعية، فليس هناك من شيء يمكن أن يجعل من اعتقادي حقيقة موضوعية سوى تطابقه مع اتفاق مشترك، يقول رورتي موضحا موقف البراغماتية من مسألة الحقيقة: "لا يعتقد البراغماتيون بأن هدف البحث هو الحقيقة، بل إن الهدف من البحث يكمن في المنفعة، وبقدر تعدد الأهداف المبتغاة تتعدد الأدوات المختلفة النافعة"[13]، فليس هدف البحث دوما الحقيقة بقدر ما هو مطلب حاجات الإنسان وكيفية تلبيتها.

من هنا فإن رورتي يؤكد أننا لسنا بحاجة إلى اسم اسمه الحقيقة يقول: "إن الهدف من البحث ليس هو الحقيقة وإنما هناك جملة من الأهداف الخاصة يسعى العلم والأشياء لتحقيقها ولا يوجد هدف يفوق الأهداف الأخرى بحيث يكون هو الحقيقة"[14]، ما يفيد أن الحقيقي ليس الأشياء في ذاتها والتي لا يعترف لها رورتي بهذه الذاتية الباطنية بقدر ما هي منطوقات تصف الحقيقة.

إن رورتي يعتبر الحقيقة خطابا مغلقا، من حيث أن الفكر الغربي يسعى إلى بناء إبستمولوجية حول فكرة الحقيقة على تصور يستند إلى الإقرار بالطبيعة الإنسانية المشتركة (كماهية) التي تمثل الحقيقة وهو التصور الذي ينتقده رورتي، فهو تصور ى يعود إلى العصر الحديث فقط بل يمتد إلى الإغريق وبالتحديد إلى أفلاطون الذي فرق بين الظاهر والحقيقة، ثم تسرب هذا المفهوم إلى عصر الأنوار واتسع ليتصل بالطبيعة البشرية للإنسانية جمعاء، فرورتي هو وديوي، ديفدسون، كانوا من الفلاسفة البراغماتيين الذين أكدو أن ليس هناك الكثير مما يمكن قوله بخصوص الحقيقة وبأنه يتوجب على الفلاسفة الاكتفاء والتقيد بالتبرير مثل ما أسماه ديوي "التأكيد المضمون".[15]

وعليه فإن الحقيقة التي يطمح إليها رورتي هي الحقيقة التكوينية التي تتكون تدريجيا جراء البحث وليست

معطاة مسبقا خاضعة لمبدأ النقد والتطور.

5-البراغماتية الجديدة وإشكالية العدل عند رورتي

لقد أولى الليبيراليون لمسألة العدل اهتماما خاصا، بحيث تجدد على يد "جون راولس" من خلال مؤلفه "الهام في العدل" سنة 1971، وهو المؤلف الذي عدّ وقت صدوره أنموذجا لمطارحات فلسفية سياسية وقانونية، لقد جعل "جون راولس" من العدل إنصافا وجعل منه تصورا فلسفيا موجها للديمقراطية الدستورية، فكان هدفه إعادة التفكير في نظرية العقد الاجتماعي بتعميمها وتجريدها، تعميم أفكارها كما جاءت مع جون لوك، جون جاك روسو وإيمانويل كانط، فهذا الكتاب "العدل" الذي نشره راولس عام 1971 تميز بشكوك ومراجعة لمفاهيم التاريخ والإيديولوجيا والإنسان، ما استدعى النظر إلى الأخلاق ليس كزاوية قمعية وإنما فيما يرتكز عليه العيش المشترك من شروط وضوابط.[16]

إن تقديم نظرية العدل بوصفها إنصافا عند جون راولس جاء بمثابة حل لاستبدال المذاهب التي هيمنت منذ مدة على التراث الفلسفي وهما النزعتين: النفعية والحدسية، بخصوص تصورهم للعدل، يقول راولس: "إن العدل هو القضية الأولى للمؤسسات الاجتماعية بمثل ما أن الحقيقة هي فضيلة أنساق الفكر، وبمثل ما ترفض أية نظرية أو تتراجع إذا لم تكن حقيقية، فكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات والقوانين يتوجب إصلاحها أو إلغاؤها إذا كانت غير عادلة".[17]

من هنا فحسب هذا القول لراولس يصبح ضرورة انضمام الفرد لجماعته ضرورة ملحة لأنه لا يستطيع تلبية حاجاته بمفرده، فتصبح العلاقة بينهم اتفاق على مبادئ تنظم بواسطتها شبكة العلاقات والإجراءات لكن في مقابل نظرة راولس للعدل واعتباره إنصافا نجد من جهة أخرى ريتشارد رورتي يطرح المسالة طرحا أخلاقيا ويعتبره إخلاصا وولاء، واعتبر ان راولس وضع مبادئ واسس نظرية حتى تكون أكثر إقناعا وجاذبية، أما الجانب الواقعي فيتمثل فيما تكرسه المؤسسات والأجهزة المختلفة من تقاليد تصب جميعا في تحقيق العدل لكافة أفراد المجتمع.

من هنا فإن رورتي يقترح تصورا آخر للعدل بكونه ولاء موسعا أو إخلاصا فما يهمنا بالنسبة له هو وفاءنا إزاء الكائنات البشرية التي يجب الاتحاد معها من أجل القضاء على الظلم، لكن الجدير بالذكر كذلك أن تصور روتي للعدل هو الآخر غير مكتمل لأنه جعل الولاء مختلفا عن العدل وكأن الولاء لا يكن أن يكون عدلا ما جعله يرفض الرد عن السئلة المطروحة المتعلقة في الاختيار بين الولاء والعدل.[18]

من هنا فرورتي يطرح مسألة العدل كما يطرح مسألة حقوق الإنسان بلغة العاطفة لا بلغة العقل، لأنه كان يبحث عن مضمون آخر لمعنى العقل يخرجه من الفهم الكلاسيكي الذي يربط الفلسفة بالعقل في صيغته الفلاطونية والديكارتية والكانطية، وهو ما يجده عند هابرماس، هذا الأخير الذي يعتبر من منظور رورتي بذل جهدا يعتبر أساسيا في أعماله وقد بلغ ذروته في التمييز بين تمركز العقل على الذات، والعقل التواصلي.[19]

هنا نجد أن التمييز بين العدل والولاء يكفي في التمييز بين مصادرهما العقل أم العاطفة، فإذا قصدنا بالعقلانية الإجماع والاتفاق بين كل من العدل والولاء، حينئذ نكون قد قضينا على الفكرة القائلة أن الولاء مختلف عن العدل.

من هنا ومن خلال إشكالية العدل في الدولة الليبيرالية الأمريكية يتضح أنه من الصعب إيجاد كتاب يعرض المناقشات حول العدالة الاجتماعية خارج ثنائية اليسار واليمين والفردي والاجتماعي والاقتصادي...، والحقيقة أن المظهر الفكري الأكثر رواجا في الفلسفة الأخلاقية الأمريكية هو النفعية التي تقيس العدالة بمدى منفعتها ليس بقصدها، فالنفعية أنتجت خلال عشرين عاما مفاهيم جد متناقضة للعدالة الاجتماعية غطت تقريبا كل أطياف الوضعيات السياسية المعروفة من اليسار إلى اليمين.[20]

6-التضامن الاجتماعي ودوره في بناء المجتمع

على أنقاض التصور الماهوي للحقيقة وللعالم، يعود رورتي إلى تجربة الذات على سبيل الخلق والتوليد وليس التماسا لحقائق خارج الإنسان تستدعي التماهي بالانفصال عن التناهي، وللتعبير عن لعبة الحقيقة في الجسد الفردي والاجتماعي يرع ضرورتي مفهومي الثورية أو التهكم والتضامن أو البنيان المرصوص، والثورية تتلخص عنده في القدرة الفردية على إعادة وصف الحدث أو التاريخ بمعنى تاريخ الفرد بالذات وهي الفكرة التي تقترب من فكرة "بول ريكور" حول المحاكاة كإعادة إبداع النص السردي وليس مجرد تكرار عقيم، والثورية كممارسة خلقية تعبر عن الملكة الفردانية والمتميزة في إعادة خلق الذات وإعادة الانبعاث رفقة تجارب جديدة ومفتوحة، كل فرد يحمل تاريخه في ذاكرته وجسده، وتكمن اهميته وصلاحيته في المجتمع بإعادة استثمار ذاكرته والاشتغال على ذاته وجسده بابتكار رؤى جديدة ومتميزة ونسج علاقات اجتماعية متغيرة ومثمرة.[21]

مقابل الثورية الفردية هناك التضامن الجماعي الذي يميز البعد الثقافي والاجتماعي للأفراد، هذا التضامن المحايث للعلاقات الاجتماعية ينوب هاجس الموضوعية الذي ينفصل عن كل تواصل، أو ذاتية ويربط القضايا بالواقع في العالم الخارجي، فمن شروط التضامن الحوار شرط أن يكون لهذا الحوار ممثلا لإرادة الفهم والتفاهم أو رغبة في

التواصل والتفاعل ولا يشكل مسرحا للسيطرة بهذا التضامن أو الحوار يردم رورتي الفجوة الكامنة بين العقل الموضوعي المستقل عن أفراده والرغبات الذاتية أو الإرادات المتعالية، فهو يجمع بين الطموح إلى الموضوعية والذي يتلخص في الحوار الدائم وينسى الرغبة الذاتية في إعادة الاكتشاف والابتكار.

التضامن هو الالتفاف إلى ماهو "داخل الذات"، بعد ما ظل في العصور السابقة مشدودا خارج الذات، فكل نتاج اشتغال دقيق وعميق على الذات يتضاعف ويتفاعل بالتضامن الاجتماعي، هكذا تصبح صورة الفيلسوف أو العالم أو اللاهوتي عند رورتي صورة فردية في امتحان الذات وامتهان الوظيفة ولا تشكل أبدا نموذجا في قول الحقيقة أو امتلاك القيمة، لأن صورة هذا التقديس للفيلسوف والعالم واللاهوتي دمرت السرية.[22]

من هنا يسير رورتي على خطى أستاذه ديوي مدافعا عن الديمقراطية الليبيرالية ومؤسساتها مؤكدا على عنصر التضامن إذ يقول شارحا مفهومه في "اليوتوبيا* التي أدعوا إليها لا ينظر فيها إلى التضامن الإنساني كحدث ينخرط فيه لأجل إزالة الأراء المسبقة أو التنقيب في أعمال لا تزل مكتشفة ولكن ينظر إليه كهدف يجب بلوغه وهذا لن يتأتى بالبحث وإنما بالخيال، تلك الملكة التي ترينا أناس مثلنا يتألمون وهم غرباء عنا".[23]

من خلال هذا القول يتضح لنا أن رورتي يقوم باستبعاد العقل أو الاستدلال العقلي، فكل ما يحدث يرجع إلى الخيال الذي يعني به الشعور والإحساس، "إن التضامن عنده لا يكشف بل يخلق، إنه يخلق عندما تشعر أكثر بتفاصيل دقيقة لمعاناة وإهانة نماذج أخرى لبشر ليسوا مقربين منا"[24]،

إذن فالتضامن مصدره الإحساس بما يكون عليه وضع الآخرين من تأزم وضعفن فالتهكميون الليبراليون هم أناس يعتقدون أن آمالهم وطموحاتهم ستنقص وأن إهانة البشر بعضهم لبعض ستزولن ولكن حسب رورتي هذا الأصل يبقى من دون جدوى.

فالتضامن عند رورتي ليس وليد الجانب النظري ولا التفكير العقلي إلى الاستدلالي الذي ظل فلاسفة الحداثة يفتخرون به ويتبرونه معيارا وحجة لكل من يخالف آراءهم.

ولهذا يجب علينا أن نقضي على هذا الأسلوب، ونستبدله حسب رورتي بوسائل أخرى تكون أكثر تعبيرا وتصوير لمعاناة الأفراد وآلامهم، كاللجوء إلى الروايات، الشعر، السينما، التلفزيون، ... فوحدها وسائل الإعلام هذه كفيلة بتحقيق نوع من التقدم العلمي وبالتالي العمل على التقدم الأخلاقي.

غير أن نظرية رورتي في التضامن لم تسلم هي الأخرى من النقد فـ"بوتنام" مثلا يتهم رورتي لأنه كان صاحب نزعة نسبية فرورتي لم يقدم آليات التمييز بين ما هو ميول عقلاني وبين ما هو موجود في ذهنية الأغلبية.

فما يعرفه رورتي من أفكار داخل السياق الاجتماعي يبقى محكوم هو الآخر بثقافة المجتمع الغربي، كما تظل مسألة البرهنة مسألة عرقية، فإثبات نموذج ثقافي أو سياسي لا تتم إلا داخل هذه اللغة وهذا النسيج.

7-خاتمة

هكذا كانت فلسفة التغيير عند الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي انطلاقا من نقد الحقيقة والابستمولوجيا وصولا إلى الفكر الأخلاقي والإجتماعي والسياسي، متأثرا بفلسفة الأمريكي جون ديوي، هذا الأخير الذي حاول أن يغير ما جاء به العقل القديم من أفكار ناقدا حتى المنطق الأرسطي باعتباره منطق مغالطات مركزا في نفس الوقت على الخبرة في صلتها بالعقل، العقل المدعم بالنظريات البيولوجية والسيكولوجية الحديثة من أجل تحقيق التوازن السليم بين الكائن ومحيطه.

لقد هاجم رورتي الحداثة لا سيما في الزعم بالعقلانية والكونية والطبيعة الإنسانية مساندا ما بعد الحداثة في القول بالنسبية والتخلص من سلبيات التراث آملا في مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية، مجتمع يوازن بين رغبات الأنا وحاجات الجماعة، كما غاب نص راولس في العدل أرضية لحل الجدل الكبير الذي كان بين الليبراليين والجماعونين على الرغم مما واجهته هذه النظرية من انتقادات وتشكيكات واتهامها بالنسبية (مثال تشكيك ميكل سندل، وكثيرون الذين اعتبروا أن نظرية راولس تشير إلى هذا التصور للفرد الذي تحدث عنه ستاندل واعتقدوا أن عمل راولس يعد امتدادا لفلسفة الأنوار في تأسيس مؤسساتها الأخلاقية.

إن اليوتوبيا البراغماتية التي دعا إليها رورتي هي يوتوبيا إنسانية متحررة تسعى لبناء مجتمع عالمي يدعوا إلى التسامح.

لكن رغم ما سعت إليه من أهداف إلا أن مشروع رورتي الفلسفي ما بعد حداثي، صادف هو الآخر انتقادات عديدة من اليسار واليمين ولاقت براغماتيته الجديدة الكثير من العداء والتهجم.

لكن في الأخير يمكن القول أن البراغماتية الجديدة ما بعد الحداثة تبقى فلسفة للانفتاح والتفاؤل لأنها حاولت الجمع بين رغبات الفرد والجماعة محاولة بناء مجتمع متوازن يتطلع إلى مستقبل افضل.

8-قائمة المصادر والمراجع

1. جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة: لبيب النحيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963، ص29.

2. ريتشارد رورتي: نتائج البراغماتية، الوسوي، باريس، 1993، ص19.

3. محمد جديدي: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.

4. محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002

5. نيقولا جورنيه: النقاشات الأمريكية حول العدالة الاجتماعية، فلسفات عصرنا، ترجمة إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009

6. André Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie.

7. John Rawls. Théorie de la justice traduit de l'américain par Catherine Audard, Paris, 2dition 1987

8. Richard Rorty : L'espoir au lieu du savoir, Introduction au pragmatisme, Edition Française, paris, édition Albin Michel, 1995

9. Richard Roty : Contingence, Ironie et solidarité, Cambridge Université presse, 1989

10. Richard Roty : L'espoir au lieu du savoir, Introduction au pragmatisme, p71.

11. Richard Roty : solidarité au objectivité, la pensée américaine contemporaine, traduction de l'américaine par André Lyotard May, paris, presses universitaire de France, 1ere édition, 1991

الهوامش:

[1] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ص155.
[2] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، ص156.
[3] محمد جديدي: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص79.
[4] جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة: لبيب النحيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963، ص29.
[5] محمد جديدي: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي،، ص ص64-65.
[6] Richard Rorty : L'espoir au lieu du savoir, Introduction au pragmatisme, Edition Française, paris, édition Albin Michel, 1995, p23.
[7] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، ص162.
[8] المرجع نفسه، ص163.
[9] المرجع نفسه، ص164.
[10] ريتشارد رورتي: نتائج البراغماتية، الوسوي، باريس، 1993، ص19.
[11] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، ص164.
[12] Richard Roty : solidarité au objectivité, la pensée américaine contemporaine, traduction de l'américaine par André Lyotard May, paris, presses universitaire de France, 1ere édition, 1991, p66
[13] Richard Roty : L'espoir au lieu du savoir, Introduction au pragmatisme, p71.
[14] Ibid, p44.
[15] Ibid, P33.

[16] محمد جديدي: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي،، ص 315.
[17] John Rawls. Théorie de la justice traduit de l'américain par Catherine Audard, Paris, 2dition 1987, P29.
[18] محمد جديدي: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي،، ص ص336-337.
[19] المرجع نفسه، ص338.
[20] نيقولا جورنيه: النقاشات الأمريكية حول العدالة الاجتماعية، فلسفات عصرنا، ترجمة إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص200.
[21] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي، ص169.
[22] المرجع نفسه، ص170.
* اليوتوبيا: كلمة إغريقية تعني ما ليس له مكان أي الخيالي أو الوهمي أو المثالي، أما اصطلاحا فتعني النظام الأمثل للمجتمع البشري، أنظر:
André Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, P1179.
[23] Richard Roty : Contingence, Ironie et solidarité, Cambridge Université presse, 1989, P17.
[24] Ibid., p17